الفريد في المصطلحات الحديثة

للاستاذ قسطنطين تيودوري

بقلم غسان الياس صقر

عرّفت مجلة المشرق — في جزئها الثالث من السنة ١٩٦٣ صفحة ٤٧٢ مؤلّف الاستاذ قسطنطين تيودوري : « الفرائد في المصطلحات الحديثة » (A Dictionary of Modern Technical Terms) بلُمعة خاطفة جاء في ختامها : « لهذا القاموس ان يكون بين مظانّ الادب واللغة وسيلة كبيرة ينهل بها المنقّب من صفاء الكلام ودقة التعبير ما هو الاحسن » . الا انها لم تأت على دراسة موضوعية لهذا القاموس تبين فيها مآخذ يعوّل عليها في تحري الكلمة المطلوبة فاتت واضعه ومؤلفه .

لذلك انتدبت نفسي ، بعد ان حالت هذه المآخذ دون وقوفي على ما رجوته من فائدة متوخاة منه ، على تفنيد وابراز بعض مناحيها ألا يتقيّلها بعض الذين يُعنَون بشأن المعاجم العصرية — وهم كُثُر على ما اعلم في أيامنا هذه — فأكون بذلك أديت واجباً ، ولو نزرًا ، نحوهم ونحو من اضطلع بعمل يستلزم جماعات ، كالاستاذ قسطنطين ، فيتداركها في طبعته المقبلة ، عملاً بالقول المأثور : « لا يعجز القوم اذا تعاونوا » .

ولمَ لا ، فقد دلّل العرب على هذا الواقع في العصور السابقة ، عصور نهضتهم . واسطع ما يشهد على هذا الأمر ما نجده من اسماء الادوية والعقاقير والافاويه المعربة التي كانت تفد عليهم من بلاد الفرس والروم والهند ، والتي اكتسبت اسماء عربية تكاد لا تفرقها في مدلولها وصياغتها عما عرفوه في بلادهم . كل ذلك تمّ بعامل التعاون المتصل الذي تناقلته حلقات الاجيال فرصّدته لنا في معاجم غايةً في الانتظام نغرف من معينها حتى يومنا هذا .

قبل ان ننعي على الاستاذ قسطنطين بعض المآخذ ، نرى من الواجب ان نشهد له بطول باعه في مضمار الترجمة وبلاغتها التي تجلّت في بعض الآيات الكريمة والامثال التي نقلها من العربية الى الانكليزية ، رغم كونها خرجت بالكتاب عن ان يكون مرجعاً علمياً يتناسب وما وضع له من عنوان : « الفريد في المصطلحات الحديثة » .

طريقة جمع القاموس وما يؤخذ عليه

لقد اشار الاستاذ قسطنطين الى طريقة جمعه مواد هذا القاموس بقوله : « وأخذت بمراجعة الصحف والمجلات والكتب العربية على مختلف مواضيعها. فكنت أدون كل تركيب متين . وكل عبارة بليغة ؛ او كل جملة اصطلاحية . او مصطلح في شتى فروع الادب والفن والعلم » الى ان يقول : « وكنت اواظب على مطالعة الاخبار التي تنشرها الصحف أكانت سياسية ام دبلوماسية ام اجتماعية ام عسكرية . وخاصة الاخبار التي تتعلق بصناعة النفط » .

اذاً لقد استقى مواد مرجعه من مصادر عربية ؛ وكان الأجدر به ان يأخذها عن مصادر اجنبية . والا جاز لنا ان ننعى على الانكليزية افتقارها الى مصطلحات علمية تأخذها عن العربية . فالمشهود به ان الغرب الذي استحدث التقنية العصرية استحدث لها مسمياتها ؛ بينما اللغة العربية ما زالت في طور صياغة اسمائها ونحتها وانتقاء الأنسب مما وضعته المجامع العربية عن الغرب ؛ وهذا لما كنا نتساءل على الاستاذ ان يجمع مواده من حقول الصحافة الغربية والنشرات العلمية الدورية التي تصدرها مؤسسات البحوث النفطية والعلمية والطبية التي ينتمي اليها ويضع المصطلح العربي الاكثر ملاءمة لها .

ثم يستطرد فيقول ثم « وقد اقترح عليّ فريق من الادباء ترجمة عدد من الآيات القرآنية الكريمة ترجمة تعادل الاصل العربي قوة وبياناً ... » ثم يقول : « وقد رأيت ان اترجم طائفة كبيرة من الامثال العربية التي يستعملها الادباء والعامة في مجتمعاتهم ... » وكذلك يقول في مكان آخر : « ... كما عنيت بترجمة ابيات من الشعر جرت مجرى المثل ... »

وهكذا نرى انه اشتط به الغرض وفاته القصد الذي من أجله وضع معجمه : وغاب عن باله الهدف الرئيسي الذي اشار اليه في ختام مقدمته : « ... لتكون معواناً — اي المصطلحات — لطلاب المدارس ... على تفهم دروسهم في علم الطبيعة والكيمياء وعلم طبقات الارض والطب والكهرباء والرياضيات وعلم الأحياء ... »

فلمثل هذا كان يجب ان يعمل بدلاً من ان يوطّن نفسه لما هو ميسور في مراجع عدة ؛ فالقرآن الكريم قد تفرغ لترجمته اكثر من مستشرق هندي وعربي ويسهل الرجوع اليه بمجرد الرجوع الى رقم الآية والسورة .

كما ان الذي عنّى نفسه له من الامثال والشعر هو متوفر على نحو واسع في مصادر عديدة — لا نظن انها تخفى على المؤلف — وعلى سبيل المثال لنأخذ موسوعة (Arabic-English Lexicon (Lane التي اعتمد فيها

مواد القاموس ، فجاءت بثمانية اجزاء : انتقى فيها اللغة المتداولة . حتى انا لنجد فيها آيات الاستشهاد الكريمة ، والامثال ، والشواهد الشعرية . كما انه افرد اجزاء اخرى لحوشي الكلام وغريبه التي وردت في القاموس ، عدا المراجع الشائعة الاستعمال .

ولنسلم بان التراجم تتفاوت قيمة في تأدية المعنى . ولا ضير من ان يقوم عديد الاشخاص لترجمة نص واحد ، الا ان ما قام به الاستاذ لا يسهل الرجوع اليه . فمثلاً في « باب امثال واقوال حكمية — نثراً » وضع المثل التالي : « من غربال الناس نخلود » وذلك تحت حرف الميم ، بينما يعتمد في مكان آخر من الباب نفسه الفعل المجرد ، « اتعظ بمصائب الغير » فيضعه تحت حرف الواو اي وعظ . وهكذا يتعذر الوقوع على الكلمة الا بشق النفس ، لأنه لم يعتمد الفعل المجرد دائماً ، بل آناً يضع المثل او المصطلح تحت الفعل المجرد او تحت الاسم او الحرف ، وذلك كيفما اتفق له .

اما ما اعتمده من تقسيم الكتاب الى خمسة عشر باباً ، فهذا مما زاد في صعوبة استعماله ، اذ لا يفترض بالطالب — سواء من المدارس الثانوية او العالية — ان يميز بين ما هو طبي او جيولوجي ... الخ .

اضف الى هذا كله ان غالب الكلمات الانكليزية قد يكون لها معان عديدة ، كأن تستعمل في علم الاحياء او الطب او الكيمياء او علم النفس ، او الطيران ، او الرياضة ، وذلك حسب مقتضى الموضوع .

فمثلاً كلمة (Accelerator) ، قد تكون في باب المصطلحات العسكرية اذ تعني : مدفعاً سريع الطلقات ، او تحت باب آخر ، اذ لها المعنى الآتي : ضاغطة البنزين او « الدوبرياج » ، او معجّل (في حقل الذرة) الخ ...

وعلى ضوء ما عرضنا نخلص الى القول : انه يتوجب على الطالب ان يعود الى اكثر من باب ليقف على ضالته المنشودة .

والشيء الأكثر صعوبة في تقفي الكلمة هو معرفة المصطلح العربي الذي اعتمده المؤلف نفسه حتى يتسنى معرفة المقابل الانكليزي ، اذ تتفاوت المترادفات التي وضعها مجامعنا لكلمة واحدة انكليزية ، فكلمة (amphibian) مثلاً ترجمها المجمع المصري « بالقوازب » والبعض الآخر « بالحيوانات البرمائية » .

ولنعط كلمة اخرى تدليلاً على مدى الصعوبة التي تعترض الطالب فيما لو كانت ذاكرته تكتز اكثر من مصطلح لكلمة اجنبية . فكلمة (accumulator) وضعت لها المجامع العربية عدة مترادفات ، كالمجمع المصري

والسوري والعراقي . منها : المركّم . والمجمّع . والحاشدة . وعرّبها العامة بالبطارية .

وهكذا يكون المعوّل في الوقوع على الكلمة اللّهم الرباني الذي يتجلّى لطالب الكلمة . والا فما أدراه بالتي اختارها الاستاذ قسطنطين ليطلبها في بابها .

فجملة القول : كان يجدر به . على الاقل : ان يجمع لنا في نهاية قاموسه ثبتاً مرتباً ترتيباً أبجدياً لاتينياً لكل ما أورد من مصطلحات فيه . والتي لا تربو على الخمسة آلاف مصطلح : ليسهل الرجوع اليها والوقوف على ما اختير لها من المفردات العربية المستحدثة : مبتعداً ما استطاع عن التراكيب البديعية والامثال العربية وما شاكل ذلك من الاساليب البيانية التي تبعد بالكتاب عن ان يكون قاموساً علمياً : كما سماه : « الفريد في المصطلحات الحديثة » . والتي باتت وقفاً مخصوصاً على افراد قليلين يعنون بالتراجم الادبية : رغم كثرة المراجع التي وضعت لهذا الغرض ووفرتها . والا صحّ ان يطلق على هذا القاموس اسم : نماذج في فن الترجمة .